النهر المتجمد

* * *

يا نهر ، هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالامس كنت مرنماً بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها احاديث الدهور
بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق
بالامس كنت اذا اتيتك باكياً سليتني
واليوم صرتُ اذا أتيتك ضاحكاً ابكيتني
بالامس كنت اذا سمعتَ تنهدي وتوجعي
تبكي ، وها ابكي انا وحدي ، ولا تبكي معي
ماذا جرى لك بعدما قد كنت تهزج في الصباح ؟
هل اجمدتك كآبتي وسمعت نديبي والنواح ؟
ماذا جرى لك بعدما قد كنت تنشد في المسا ؟
هل داهمتك مصائب مثلي فاخرسك الاسى ؟
ما هذه الاكفان — ام هذي قيود من جليد
قد كبّلتك وذللتك يا يد البرد الشديد ؟

ما حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرّت به ريح الشمال
والدهر يندب فوق رأسك ناثراً اغصانه
لا يسرح الحسون فيه مردداً ألحانه
تأتيه اسراب من الغربان تنعق في الفضا
فكأنها ترثي شباباً من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عند الصباح وفي المسا
جوق يشيع جسمك الصافي الى دار البقا

. . . .

لكن سينصرف الشتا وتعود ايام الربيع
فتنك جسمك من عقال سكنته يد الصقيع
وتكر موجات النقية حرة نحو البحار
حبلى باسرار البقاء مُلى بانوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافي النسيم
وتعود تسبح في مياهك أنجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك سترا من لجين
والشمس تستر بالازاهر منكبيك العاريين
والدهر ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ انفه ويميس مختفر الفنن

وتعود للصفصاف بعد الشيب ايام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

. . . . .

قد كان لي ، يا نهر ، قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه اميال وآمال تموج
قد كان يضحي غير ما يمسي ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كموجك فيه امواج الامل
فتساوت الايام فيه — صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة — نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف او الشتاء ،
سيان نوح البائسين وضحك ابناء الصفاء .
نبذته ضوضاء الحياة فمال عنها والتفرد
وغدا جماداً لا يحن ولا يميل الى احد .
وغدا غريباً بين قوم كان قبلاً منهم
وغدوت بين الناس لغزاً فيه لغز بينهم .

. . . . .

يا نهر ذا قلبي . اراه — كما اراك — مكبلاً
والفرق انك سوف تنشط من عقالك ، وهو — لا . . .

نيويورك

« ميخائيل نعيمه »